

تفسير البحر المحيط

@ 250 شَيْبًا { أي رأسي . وقال ذو الرِّمة : % (لمياء في شفتيها حوَّة لعس % .
وفي اللثات وفي أنيابها شنب .
%) .

تريد : وفي لثاتها . وروى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال : (خير
النساء امرأة إذا نظرت إليها سرتك ، وإذا أمرتها أطاعتك ، وإذا غبت عنها حفظتك في
مالها ونفسها ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم) هذه الآية . .
وقرأ الجمهور : برفع الجلالة ، فالظاهر أن تكون ما مصدرية ، والتقدير : بحفظ الله إياهن
قاله ابن عباس وعطاء ومجاهد . ويحتمل هذا الحفظ وجوهاً أي : يحفظ ، أي : بتوفيقه
إياهن لحفظ الغيب ، أو لحفظه إياهن حين أوصى بهن الأزواج في كتابه وأمر رسوله ، فقال :
(استوصوا بالنساء خيراً) أو بحفظهن حين وعدهن الثواب العظيم على حفظ الغيب ، وأوعدهن
العذاب الشديد على الخيانة . وجوزوا أن تكون ما بمعنى الذي ، والعائد على ما محذوف ،
والتقدير : بما حفظه الله لهن من مهر أزواجهن ، والنفقة عليهن ، قاله الزجاج . وقال ابن
عطية : ويكون المعنى إما حفظ الله ورعايته التي لا يتم أمر دونها ، وإما أوامره ونواهيها
للنساء ، وكأنها حفظه ، فمعناه : أن النساء يحفظن بإزاء ذلك وبقدره . وأجاز أبو البقاء
أن تكون ما نكرة موصوفة . .

وقرأ أبو جعفر بن القعقاع : بنصب الجلالة فالظاهر أن " ما بمعنى الذي ، وفي حفظ ضمير
يعود على ما مرفوع أي : بالطاعة والبر الذي حفظ الله في امتثال أمره . وقيل : التقدير
بالأمر الذي حفظ حق الله وأمانته ، وهو التعفف والتحصن والشفقة على الرجال والنصيحة لهم .
وقدره ابن جني : بما حفظ دين الله ، أو أمر الله . وحذف المضاف متعين تقديره : لأن الذات
المقدسة لا ينسب إليها أنها يحفظها أحد . وقيل : ما مصدرية ، وفي حفظ ضمير مرفوع تقديره
: بما حفظن الله ، وهو عائد على الصالحات . قيل : وحذف ذلك الضمير ، وفي حذفه قبح لا يجوز
إلا في الشعر كما قال : فإن الحوادث أودي بها . .

يريد : أو دين بها . والمعنى : يحفظن الله في أمره حين امتثلته . والأحسن في هذا أن لا
يقال أنه حذف الضمير ، بل يقال : إنه عاد الضمير عليهن مفرداً ، كأنه لوحظ الجنس ،
وكان الصالحات في معنى من صلح ، وهذا كله توجيه شذوذ أدنى إليه قول من قال في هذه
القراءة : إن ما مصدرية . ولا حاجة إلى هذا القول ، بل ينزه القرآن عنه . وفي قراءة
عبد الله ومصحفه : فالصالح قوانت حوافظ للغيب بما حفظ الله ، فأصلحوا إليهن . وينبغي

حملها على التفسير لأنها مخالفة لسواد الإمام ، وفيها زيادة . وقد صح عنه بالنقل الذي لا شك فيه أنه قرأ : وأقرأ على رسم السواد ، فلذلك ينبغي أن تحمل هذه القراءة على التفسير . قال ابن جني : والتكسير أشبه بالمعنى ، إذ هو يعطي الكثرة وهي المقصودة هنا . ومعنى قوله : فأصلحوا إليهن أي أحسنوا ضمن أصلحوا معنى أحسنوا ، ولذلك عداه بإلى . روى في الحديث : (يستغفر للمرأة المطيعة لزوجها الطير في الهواء ، والحيتان في البحر ، والملائكة في السماء ، والسباع في البراري) . قالت أم سلمة : قلت : يا رسول الله نساء الدنيا أفضل أم الحور ؟ فقال : نساء الدنيا أفضل من الحور . قلت : يا رسول الله بم ؟ قال : بصلاتهن ، وصيامهن ، وعبادتهن ، وطاعة أزواجهن . .

{ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي

الْمَضَاجِعِ وَاصْرَبْ يُوهُنَّ } لما ذكر تعال صالحات الأزواج وأنهن من المطيعات الحافظات للغيب ، ذكر مقابلهن وهن العاصيات للأزواج . والخوف هنا قيل : معناه اليقين ، ذهب في ذلك إلى أن الأوامر التي بعد ذلك إنما يوجبها وقوع النشوز لا توقعه ، واحتج في جواز وقوع الخوف موقع اليقين بقول أبي محجن الثقفي رضي الله عنه :